



روما

هبطت بنا الطائرة فى مطار روما بعد رحلة لم أشعر فيها بتعب
فوجدت فى انتظارى مندوب السفارة المصرية ومندوبى بعض
الصحف المحلية ووكالات الانباء الدولية .

كان استقبالا طيبا أجمل ما فيه تحية السفارة فى مندوبها الذى
أرسلته وفى سيارتها التى وضعتها رهن اشارتى .

وشغل ذهنى وأنا أنظر الى المطار ان وجدته قد استكمل كل
ناقص وبدا شامخا لكل زائر اذ فرغ العمال من بنائه ، أننى أذكر
فى السنوات الخمس الماضية أننى كلما كنت أمر بمطار روما يزعجنى
عجز ايطاليا عن اصلاحه واتمام بنائه فلما رأيته قد استكمل مقومات
وجوده استنتجت من ذلك أن تلك البلاد بدأت تتغلب على المتاعب
الاقتصادية التى واجهتها بعد الحرب العالمية الثانية .

وحين فرغت من هذه الملاحظة ووجهت بصحفى روما فقد أصروا
على أن يوجهوا الى، كثيرا من الاسئلة فأخذت تنهال على من كل صوب .

ما رأيك فى اتفاقية الجلاء المصرية البريطانية ؟ « وكانت هذه الاتفاقية قد أبرمت قبل وصولى الى روما بيوم » .

— ماهو مدى معارضة الدين الاسلامى لحقوق المرأة ؟

— ما رأيك فى فاروق المقيم الآن فى ايطاليا ؟

وهكذا سألنى الصحفيون رأيى فى أكثر من موضوع بعضه عن مصر وبعضه عما يشغل بال العالم اذ ذاك .

وأخيرا اقترب منى أحد الصحفيين وقال لى بصوت خفيض :

— ما رأيك فى الشيوعية ؟

انهالت على كل هذه الاسئلة فى لحظات قصار وأنا أستمتع الى سؤال يلاحق سؤالاً وكنت تقريباً لم أستيقظ حيث وصلت الطائرة فى الصباح المبكر ولاحظت على وجه مندوب السفارة شيئاً من القلق فقد كان الموقف دقيقاً . ولقد خشى أن تجيء احدى اجاباتي محرجة أو أن أكون غير مستعدة للرد على هذه الاسئلة المفاجئة فاقترح فى لباقة أن نرجىء الرد على هذه الاسئلة الى المساء . حيث تقيم السفارة مؤتمراً صحفياً لى .

ولكنى فضلت عدم ارجاء الرد على أى سؤال حتى لا يتصور مندوبو الصحف أنى غير قادرة على الرد عليهم فيؤثر ذلك على كل مؤتمراتى الصحفية المقبلة وكنت أرد على السؤال بسؤال آخر أكثر احراجاً للسائل فتكون النتيجة أنه هو الذى يتهرب من الاجابة ، وبالرغم من كل المناقشات التى دارت بينى وبين الصحفيين فاننى خرجت من هذا المؤتمر الصحفى المفاجيء منتصرة بعون الله الا أننى حينما تهيأت للانصراف ودعنى بعض الصحفيين قائلاً : « الى اللقاء فى المؤتمر الصحفى فى المساء ؟ ! » وكان معنى هذا أن الصحفيين « لن يعتقوننى بعد »

لقد كانت المناقشة التى دارت بينى وبين الصحفيين فى المطار بداية طيبة من رحلتى وتركت فى نفسى أحسن الاثر ، اذ تبين لى

أننى قد أمكننى التخلص من أول موقف حرج فى رحلتى حول العالم
وشعرت بالتفاؤل يغمرنى وأحسست التوفيق ينتظرنى .

ومضت بنا السيارة من مطار روما الى قلب المدينة وأمكننى أن
أشاهد فى هدوء ضواحي المدينة الرائعة الجمال .

لقد سبق لى أن زرت مرارا هذا البلد الجميل من قبل غير أننى لم
أشاهده فى هذه الروعة على النحو الذى شاهدته فى هذه المرة اذ
كانت أوراق الاشجار تميل الى الاحمرار وهى تشبه الشمس حين
تميل الى الغروب . وكان هذا ايذاً بأنها تودع فصل النماء حيث
تنطوى على نفسها طول فصل الشتاء .

وودعنى مندوب السفارة فى الفندق بعد أن حدد لى موعد
المؤتمر فى السفارة ، وصعدت الى غرفتى وطلبت فنجاناً من القهوة
« وأحب أن أقول أن حبنى للقهوة كلفنى كثيراً فى هذه الرحلة ففنجان
القهوة كان يكلفنى مثلاً فى الولايات المتحدة أكثر من ثلاثين قرشاً غير
البقشيش » ثم ألقيت من النافذة نظرة على روما وهى تستيقظ ، وكان
الميدان الذى تطل عليه النافذة هادئاً لا تمر فيه الا بعض العربات
الصغيرة التى تحمل الخضروات .

ومر بخاطرى كل المفاخر والامجاد وكل المآسى والاحزان التى
مرت بروما فى السنوات الاخيرة .

أخذت أفكر فى موسولينى وكيف حكم ايطاليا ، وكيف جرت
الاحداث الى احتلال الحبشة فى سنة ٣٥ - ١٩٣٦ حتى يعطى شعبه
فرصة الهجرة ويزيد بذلك دخل بلاده مما جعل ايطاليا تنظر بعد ذلك
الى زيادة مستعمراتها وراء البحار .

ثم تذكرت أن ايطاليا لم تدخل الحرب العالمية الثانية الا فى سنة
١٩٤٠ قبل أن تطلب فرنسا الهدنة ببضعة أيام حين اطمأنت الى أن
ألمانيا قد سيطرت على الموقف فى فرنسا وتطلعت ايطاليا الى المائدة
لتحضرها دون أن تقدم فيها نصيباً انما لتنال المغنم فى يسر وهوادة .

ثم تذكرت كيف هوى موسولينى من على الحكم فى يوليو ١٩٤٣

وتولى بادوليو الحكم وكادت تنشب حرب أهلية تفسد بهاء إيطاليا
وجمالها وتزرى بمناحفها الرائعة وطوف بذهنى موسولينى وقد أعدم
فراح ضحية الغرور والمجد الزائف .

ولست أعتقد أن الشعب الايطالى شعب حروب أنه شعب مرح
يعشق الموسيقى ويحب الفن وهو يعيش دائما فى أضواء الفنون
الجميلة التى ابتدعها جيلا بعد جيل منذ زمن بعيد فكان من أقدم
الشعوب اهتماما بالفنون الجميلة فكان يصور وينحت ويقدم للعالم
روائع الصور والتحف والتماثيل . ونذكر هنا كنيسة الفاتيكان وهى
أروع ما يمكن تسجيله فى ميدان الفن ومما يذكر أن تحرر الشعب
الايطالى لا يتعارض مع تمسكه بالتقاليد القديمة التى ورثها الفاتيكان
منذ أجيال عديدة .

وقد راعى فى الشعب الايطالى الحديث أنه يعمل بلا توان على
النهوض بكل ما فيه زيادة دخل البلاد من زراعة وصناعة ومشروعات
عامة متعددة .

وقد أيقظنى من هذا الفكر الشارد صوت المياه التى تنبعث من
أفواه التماثيل وهى رابضة فى نافورة تعبر أجمل تعبير عن حضارة
الرومان وما جاءوا به من اعجاز فى الفن وابداع فى النحت .

وعلى أى حال فإن إيطاليا قد خرجت منتصرة من البلاء الذى
حاق بها منذ أوائل هذا القرن حتى نهاية الحرب العالمية الثانية
واستطاعت أن تداوى جرحها العميق أبان الحرب وبعدها وتستعيد
نشاطها الماثور عنها وتتغلب على جميع الصعاب الاقتصادية
والاجتماعية التى اجتاحتها فى تلك السنين .



وفى المساء حل موعد المؤتمر الصحفى الذى عقد فى السفارة
المصرية بروما وقد بدأ هذا المؤتمر فى جو مرح يتلاءم مع طبيعة
الشعب الايطالى المرح وقد استهل بسؤال هادى فى مظهره .

— ما رأيك فى دخول المرأة الميادين العامة ؟

– وكنت أعلم أن المرأة في إيطاليا لم تتل حقوقها السياسية الا سنة ١٩٤٥ مثل كثير من بلاد أوروبا التي كانت محرومة من معظم هذه الحقوق قبل نهاية الحرب العالمية الثانية ، ومما يذكر أن أوروبا بدأت تعترف بحقوق المرأة بعد الحرب العالمية الاولى ثم وقفت دون منحها كل الحقوق حتى قامت الحرب العالمية الثانية وساهمت المرأة فيها مساهمة الاصيل فاضطر الرجال الى الاعتراف بسائر حقوقها فنالت في كثير من البلاد الاوروبية ما كان ينقصها من حق قبل الحرب الثانية .

وكان ردى على السؤال :

– ان دخول المرأة في الميادين العامة يعتبر في رأيي أقوى أحداث القرن العشرين بعد حادث اختراع القنبلة الذرية
وقامت القاعة وقعدت كأننى ألقيت قنبلة ذرية ؟ ! . .

غير أن أحد مراسلى وكالات الانباء عقب على قولى ساخرا بقوله :

– ولكن الرجال أمكنهم السيطرة على زمام القنبلة الذرية فهل ياترى سيمكنهم السيطرة على زمام المرأة اذا أفسح لها المجال لمشاركة الرجل في كل الميادين العامة على قدم المساواة ؟ . . .

فكان الجواب :

« انى لا أرى أن يسيطر الرجل على المرأة أو تسيطر المرأة على الرجل ، انى أريد أن يتعاون الاثنان في السيطرة على الحياة . وذلك لمصلحة العالم بأجمعه .

وهنا قامت ضجة في القاعة استنتجت منها أن بلادنا لم تنفرد وحدها بتحالف الرجال ضد النساء .

لقد أجهدنى هذا المؤتمر الذى استمر ساعتين كاملتين وكان الناس يريدون أن أمضى فيه عشر ساعات غير أننى اكتفيت بالساعتين وفيهما سجلت كل ما يهم المستمعين عن بلادى وكل ما يمجدها .

وقد كان هذا المؤتمر كسابقة فاتحة طيبة للمؤتمرات العديدة
التي عقدتها في مختلف بلاد العالم .

وعلى نمطه جريت في كل مؤتمر مقبل وحسبى أن أذكر أن وكالات
الانباء والصحف احتفلت بهذا المؤتمر احتفالا منقطع النظير ورددت
أسلاك البرق في كل مكان ما دار فيه من مجادلات وكان هذا المؤتمر
اعلانا طيبا في كل مكان عن رحلتى حول العالم فضلا عن أنه أثبت
للاجانب أن المرأة المصرية قد أصبحت جزءا مهما من بلادها وأن أمر
الدعاية عن البلاد في أنحاء العالم تساهم فيه الآن المرأة المصرية بكل
ما يعود بالفخر على مصر .

ان ذلك وحده له فوائده الكثيرة فان العالم الآن قد أصبح يعتقد
أن الامم المتحضرة هي الأمم التي يشترك نساؤها في مهمات الامور .



زوريخ وقيينا

يجدر بى ان اذكر كلمة عن النمسا وسويسرا قبل ان امضى
بالقارىء عبر الجبال والبحار .

حصلت النساء فى النمسا على حقوقهن السياسية سنة ١٩١٩
- أى بعد الحرب العالمية الاولى ، فهل كان للحرب دخل فى ذلك ؟
هناك رأى يقول أن معظم نساء العالم أخذن حقوقهن السياسية
بعد الحربين الكبيرتين سنوات ١٩١٩ و ١٩٤٦ والواقع أن النساء
حصلن على بعض الحقوق بعد كل فرصة اتاحت لهن لاثبات
مشاركتهن للرجل فى جميع اعباء الحياة ، وقيامهن بالواجب نحو
الوطن والأسرة على أكمل وجه ، فنساء بلاد الشمال مثلا كن أسبق
النساء الى الحصول على الحقوق السياسية والاجتماعية لأن أزواجهن
رجال صيد وترحال ، فكان الرجل يخرج الى البحر وتبقى المرأة
تدير شئون بيتها ومجتمعها ووطنها طيلة المدة التى يمكنها الرجل فى
البحر ، التى كانت قد تطول الى ستة أشهر أحيانا أو تزيد ، فما أن
طالبت بحقوقها حتى نالتها على الفور اذ لم يجرؤ الرجل على

حرمانها هذا الحق في الوقت الذي تشاركه جميع اعبائه . ونذكر بهذه المناسبة ان فنلندا في شمال أوروبا من اول البلاد في العالم التي اعطت للمرأة حقوقها السياسية سنة ١٩٠٦ .

وكذلك بالرغم من الحركات التي قامت في سائر انحاء البلاد المتقدمة للمناداة بحقوق المرأة بصفة عامة في القرنين التاسع عشر والعشرين كانت تحصل غالبا النساء على حقوقهن بعد الحروب وكانت الحروب دائما فرصة أثبتت فيها المرأة وجودها . وأرغمت الرجل على الاعتراف بهذا الوجود .

وبالتالي أرغمته على اعطائها هذه الحقوق .

ان كفاح المرأة الطويل في سبيل نيل حقوقها يذكرني بأمر يدعو الى العجب ، لقد كان الاسلام دائما شعلة يستنير منها كل من قدر له ان يلعب دورا في الحركات النسائية في العالم وكان مبدا المساواة بين الرجل والمرأة في الاسلام من المبادئ التي تغنى بها الشاعر «شيلي» كما تغنى بها الكثيرون غيره من الكتاب والشعراء ، فكيف لا تتمتع المرأة في البلاد الاسلامية حتى اليوم بهذه الحقوق التي منحها اياها دينها السمح الكريم الذي سوى بين المسلمين جميعا قبل ان تقوم أية حركة من حركات أوروبا كلها بمئات السنين !

ثم اعود فاقول ان المرأة اليوم تشارك الرجل في كفاحه في بلاد الشرق ، واذا كان كثير من الرجال لا يزالون ينكرون هذا ، فسوف تنتهي «مغالطتهم» هذه حتما الى الاعتراف بحقوق شريكتهم المرأة .

الدانوب الازرق :

لقد كانت الطبيعة سخية على النمسا ، فحببتها بجمال خلاب ولذلك فقد جبل اهلها على حب الفنون ، وخصوصا الموسيقى .

وما زال العالم حتى اليوم يتغنى بالحنان موزارت وشوبرت ويرقص على فالسات شتراوس ، الذين استلهموا وحي الحانهم من جمال الطبيعة الفريد في هذه البلاد ، ومن نهر الدانوب الازرق

الخالد الذى يشق فيينا - عاصمة النمسا - فيزيدها جمالا . ويعطى
اهلها مادة يستوحون منها موسيقاهم والحانهم .

والانهار تلعب دائما دورا هاما فى حياة الشعوب ، فهى اقرب
الاشياء التى تصدر لهم الحياة ، اذ يولد النهر عند المنبع صافيا
عذبا ، ثم يتدفق قويا ليهب الحياة لاهل البلد ، حتى يصل كهلا
عند المصب ، وهكذا تعيش انهار العالم فى الاساطير التى يتناقلها
الناس ، وفى الاشعار ، والقصص والالحان ، وهكذا يعيش النيل
والتيمر والسين والفونجا والهدسن والمسيسبي ، كلها أنهار وهبت
اهلها الحياة فمنحها اهلها الخلود فى فنونهم .

وهكذا يعيش الدانوب الازرق فى ذلك اللحن الخالد لستراوس ،
وهل هو ازرق حقيقة ؟

اعتقد ان زرقة (الدانوب الازرق) هى زرقة اى نهر آخر ولكن
تغلب هنا خيال ستراوس الواسع الذى جعل من زرقة هذا النهر
انشودة خالدة فى اذهان العالم باجمعه .

والنمسيويون لهم ولع شديد بالتصوير والنحت . فبلادهم عامرة
بالتماثيل الجميلة ، واهم شغف شديد بالازهار ويظهر ذلك فى بيوتهم
ونوافذهم وحدائقهم ، كما ينعكس كذلك فى الوان ملابسهم الوطنية
المزركشة ، والصفة الغالبة عليهم هى المرح والرقص - رغما عما
قاسوه فى سنوات الحرب والاحتلال من الفقر .. والعوز .

ولعل من اهم ما يميز النمسا عن بقية دول اوروبا انها محاطة
ببلاد اخرى كثيرة ، اذ تحف بها حدود المانيا وتشيكوسلوفاكيا والمجر
ويوغسلافيا وايطاليا وسويسرا فاهلها دائما على صلات قوية وفى
بعض الاحيان على احتكاك بشعوب كثيرة ، فهم ليسوا فى عزلة كبعض
الشعوب الاخرى ، لذلك فهم اكثر تفهما لمشاكل الآخرين .

وقد خرجت النمسا جريحة محطمة بعد الحرب العالمية الثانية،
وظلت تكافح لتعيد بناء نفسها اقتصاديا رغم الاحتلال الاخير ،
واستطاعت بجهود شعبها ان تنال استقلالها اخيرا بموجب المعاهدة

التي عقدتها واصبحت اليوم تقف على الحياض ، وتضرب مثلاً جديداً من أمثلة كفاح الشعوب التي تستطيع أن تقوم لتقف على قدميها بفضل عزيمة ابنائها ، وإن تدعم اقتصادها بالصناعة رغم الحرب التي خربت مصانعها وحطمت كل حجر فيها ...

وليست فيينا هي البلد الوحيد الجميل الذي تفخر به النمسا ، فهناك سالزبورج وغيرها من المدن التي تضارع كثيراً من العواصم جمالاً وروعة .

وقد كانت كلها مهذا لكثير من الفنانين والموسيقيين الموهوبين ... العالميين .

سويسرا .. بلد السياحة والصناعات الدقيقة

والبلد الثاني الذي ستظل ذكرى زيارته عالقة بذهني لجماله هو سويسرا - أن جمال الطبيعة هو كل شيء في سويسرا تقريباً ، إذ أن الإنسان يستطيع أن يتمتع بجمال الخضرة والغابات والبحيرات والأنهار وقمم الجبال التي يعلوها الثلج الأبيض في وقت واحد وفي مكان واحد هو سويسرا .

وقد كان جمال الطبيعة في سويسرا مصدراً هائلاً للثروة لاهلها ، فقد اشتغل السويسريون بصناعة السياحة ، وأقول «صناعة» لأن السياحة فعلاً أصبحت صناعة حديثة ، بعد أن أصبح كثير البلدان يعتمد عليها كمصدر من مصادر الثروة ويكفي أن تعرف أن ٧٠ ٪ من دخل سويسرا يأتي من السياحة لتفهم لماذا قلت عن السياحة أنها صناعة ، وأصبحت سويسرا اليوم مرادفاً لكلمة السياحة في أذهان العالم أجمع ، فيأتيها السياح من جميع أنحاء لقضاء اجازاتهم وللرياضة (التزحلق على الثلج) خاصة . والاستشفاء .

وسويسرا جمهورية اتحادية تتكون من ٢٦ مقاطعة ، ولكنها كلها تشغل مساحة صغيرة في قلب أوروبا ، ويسكنها عدد يقل عن الخمسة ملايين نسمة - وقد تغلب سكانها على قلة موارد بلادهم الطبيعية - إذ أنها تفتقر إلى الفحم والحديد وهما عصب الصناعات

الحديثة - ولذلك فقد برع السويسريون في الصناعات الدقيقة مثل الساعات واجهزة المعامل الطبية ، والادوات العلمية والكهربائية والمواد الكيماوية والادوية واشغال الصوف اليدوية .

وكان اول ما لفت نظرى من اخلاق السويسريين عندما وصلت لأول مرة الى زيوريخ الهدوء فهم شعب هادىء هدوءا لا مثيل له ، وهم شعب مهذب ، وتلاحظ ذلك فى معاملاتهم ، وفى كل مكان ، فى الاتوبيس الذى يخلو من «الكمسارى» ويدفع ركابه نقودهم فى صندوق صغير معلق باخر العربة وفى الجرائد التى تباع دون أن يصرخ عليها بائع او يقف الى جانبها كالديدبان ليحرسها ، ولم يحدث أن اختطف سويسرى صحيفة دون أن يدفع ثمنها مع عدم وجود من يتسلم الثمن او حاول أحد أن «يزوغ» من دفع ثمن تذكرة الاتوبيس !

وسويسرا مركز لكثير من النشاط السياسى الدولى ، فمدينة جنيف لها شهرة عالمية لأنها كانت مقرا لعصبة الامم القديمة ، وما زالت مقرا لكثير من المنظمات والجمعيات الانسانية والدولية كما انها كثيرا ما تختار كمركز للمؤتمرات الدولية والامثلة ليست ببعيدة عنا .

وفى مدينة زيوريخ - قابلت الدكتورة «جان ايدر» من أرقى نساء العالم ورئيسة المجلس النسائى الدولى الذى يعد اكبر هيئة نسائية دولية ، وجلسنا نتحدث عن مشاكل المرأة المختلفة المتعددة . قلت لها ان العالم فى دهشة لان المرأة فى سويسرا لا تتمتع بحقوقها السياسية ، فى الوقت الذى ترمقها كثير من الدول الاخرى لتفوقها وتقدمها والمكان الممتاز الذى تتمتع به .

وأدركت الدكتورة جان ايدر سبب اهتمامى الشديد بهذا الموضوع ، حيث انه كثيرا ما يضرب لى خصومى مثلا بسويسرا كبلد متقدم لم تنل فيه النساء حقوقهن السياسية .

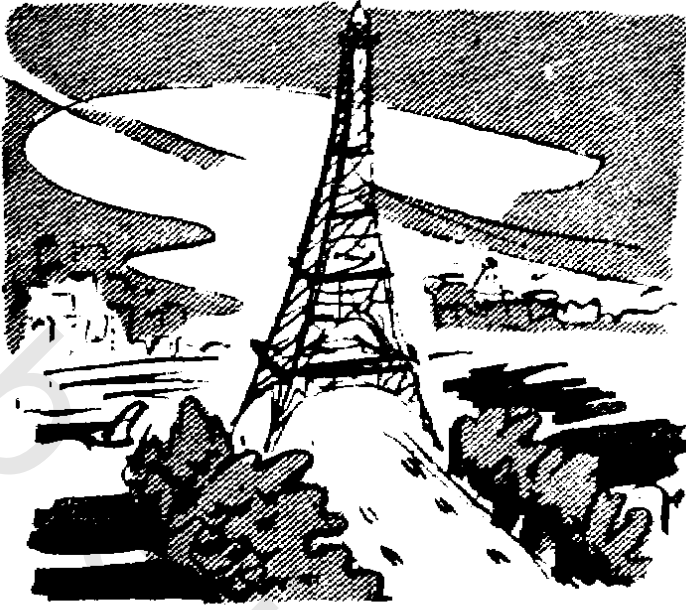
وابتسمت الدكتورة واجابت قائلة :

- لكل بلد ظروفه الخاصة ، فظروفنا تختلف تماما عن ظروف

البلاد الأخرى . سويسرا عبارة عن مجموعة مقاطعات منها الفرنسية ومنها الألمانية ومنها الإيطالية . وكل من هذه المقاطعات لها لغتها الخاصة وعاداتها وطريقتها في الحياة . وحيث أن القرارات التي تتخذها الحكومة تجيء عن طريق إجراء استفتاء ، فمن الصعب أن تجتمع آراء هذه المقاطعات باختلاف آرائها ومعتقداتها وعاداتها على رأي واحد في مثل هذا الاستفتاء .

ثم إن هناك سببا آخر ، وهو أن المرأة السويسرية تتمتع فعلا بحقوقها الاجتماعية والشخصية كاملة ، فليس إذا من المهم أن تتمسك بدخول البرلمان ، كما في بعض البلاد التي تطالب بإعادة النظر في القوانين الخاصة بالمرأة ، وهي من أجل ذلك تطالب بدخول البرلمان ليكون لها صوت داخله حين تثار قضيتها .

ووعدت بأنها ستبذل كل ما في وسعها لتحقيق استخلاص حقوق المرأة كاملة غير منقوصة في سويسرا وفي أنحاء العالم .



باريس

كان شعورى حينما وصلت الى مطار أورلى أن باريس ستكون هى البداية الحقيقية لرحلتى حول العالم ، ربما كان ذلك لشعورى بأننى اقتربت من قلب أوروبا ، وربما رجع الى شعورى بأننى عشت وتكسونت فى باريس .

واحسست أن نجاحى فى بقية الدول الاخرى متوقف على نجاحى فى باريس ، فانا أعرف الفرنسيين وطباعهم وميولهم ، فكان لابد لى أن أنجح هناك أولا ويصبح النجاح بعد يسيرا ، وتوجهت الى فندق «بلازا» وهو أحد الفنادق الكبيرة فى باريس ، وكنت أعرف انه اذا طالت اقامتى بهذا الفندق فسوف انفق كل المبلغ الذى أعددتة للرحلة كلها ، ولكن الضرورة لها احكام – فقد كان على أن اظهر بالمظهر اللائق حتى تنجح دعايتى لبلادى ولو ادى ذلك الى أن أمكث به بضعة أيام حتى اتم الاستعدادات للمؤتمر الصحفى الذى كنت أنوى عقده ، ثم اتركه بعد ذلك .

وبدأت أعد العدة لهذا المؤتمر . وكنت أعرف أن نجاح المؤتمر لا يتوقف على المكان أو عدد الناس ومجموعهم ، وإنما يتوقف على مستوى تفكير الحاضرين ومدى تجاوبهم مع شخصية وأفكار المحاضر .

وقد استلزم ذلك - ضمن أمور أخرى - أن أشتري كل ما يلزم لي للظروف المختلفة التي سأمر بها أثناء هذه الرحلة الطويلة وترتب على ذلك صرف جزء كبير من النقود وبعدها « يحلها ربنا » .

وقررت أن يكون المؤتمر في نفس الفندق الذي أقيم به لأن ذلك سيتيح الفرصة لكل من يهمل المؤتمر أن يحضره دون مشقة حيث أن فندق «البلاتزا» يتوسط باريس .

واجتهدت أن يحضر هذا المؤتمر أكبر عدد ممكن من الشخصيات الفرنسية ، من الصحفيين ورجال الفكر والأدباء وعلماء الاجتماع ، فوجهت ألف بطاقة دعوة إلى جميع مراسلي وكالات الأنباء والصحفيين ودور النشر ، وكل الهيئات النسائية ، وكل الشخصيات المعروفة ، حتى أضمن أن يحضر هذا المؤتمر خمسمائة شخص على الأقل .

ولما كان مثل هذا المؤتمر سيحملني مالا طاقة لي به ، ويضيع البقية الباقية من المبلغ الذي أعدته للقيام بهذه الرحلة كلها فقد اتصلت بالسفير المصري في باريس ، وسألته أن تساهم السفارة في الانفاق على المؤتمر الصحفي ، حيث أن هذا المؤتمر سيعود بالدعاية الطبية لمصر والقضية العربية فساهمت السفارة مساهمة طيبة ، وكانت مساعدتها من أكبر العوامل التي أدت إلى نجاح هذا المؤتمر .

وساعدني في الدعاية له كل المصريين من معارفي ، واصدقائي وصديقاتي من الفرنسيين ، وكانت تلازمي دائما مدام « روجيه ماسيب » زوجة رئيس تحرير صحيفة « الفيغارو » اليومية كما

حضرت رئيسة المجلس النسائي الفرنسي وغيرها من رئيسات الهيئات النسائية والصحفيات ٠٠ الخ

وكان من أهم ما ساعدنى على اتمام الاستعدادات فى موعدها هو «البقشيش» لعاملة التليفون وساعى البريد والبواب وفى كل مكان !

ولم يكن هذا مما تختص به باريس وحدها فقد لاحظت اهمية البقشيش فى جميع أنحاء العالم فمثلا عندما وصلت الى احدى العواصم الاوروبية طلبت من احدى المشرفات على الفندق كى فستانى بسرعة فقالت أنه غير ممكن الان فأخرجت بعض النقود من الكيس بدون أن اتكلم فأسرعت بالرد بعد أن لاحظت النقود « ممكن برضه ... »

وجاء اليوم الخامس فى باريس وهو اليوم الذى حذت فيه عقد المؤتمر الصحفى ...

وحان موعد المؤتمر وبدأت اراقب الوفود التى أخذت تتوافد عليه ، فقد كان خليطا كبيرا من الناس جمع العلماء مع الباريسيات الرشيقات الى جانب جماعة من شمال افريقيا ، وجمع كبير من الشخصيات البارزة ، وكل اصحافة باريس وجمع كبير من المصريين المقيمين فى باريس ... الخ

والقيت محاضرتى التى استغرقت ثلاثة ارباع الساعة ، فتكلمت عن المرأة المصرية ، وتطورها وتحررها ، وكنت اختلس النظر بين حين وآخر الى النقاد ورؤساء تحرير الصحف الكبرى حتى اتبين وقع كلامى لديهم فوجدتهم يتتبعون كل كلمة فى المحاضرة باهتمام بالغ فشجعنى ذلك .

وما أن انتهيت حتى تدفقت الاسئلة على واحتدت احدى الصحفيات الفرنسيات وكانت اشبه «بالفتوة» تعاتبنى على مهاجمتى لفرنسا بخصوص قضية مراكش رغم أنى تلقيت العلم فى فرنسا ولى فيها اصدقاء عديدون ؟ ولكنها اضطرت تحت ضغط الجموع التى اظهرت استيائها منها الى الاعتذار ثم الانسحاب من القاعة .

لقد وفقت في الرد بسرعة على كل الاسئلة . وحتى مع تلك «الفتوة» الضخمة الجسم وفقني الله في الرد عليها واذكر أنها عاتبته في عنف وشدة فقلت لها ارجو الا تنسى انى عربية !..

وما كدت اقول هذه الكلمة حتى دوت القاعة بتصفيق من المصريين وابناء شمال افريقيا . وعاوننى أحد المصريين بقوله للصحفية الفرنسية « لا تخطئى بين الصداقة والسياسة »

وقال مغربي «اننا فخورون بدفاع الدكتورة درية عن مراکش وان هذا يثبت تضامن البلاد العربية في قضيتها الموحدة ».

ومما يذكر ان جميع الفرنسيين ساءهم سؤال تلك الصحفية واصبح موقفها دقيقا حتى انسحبت على النحو الذى ذكرته .

ثم اخذت الاسئلة تترى على من كل جانب ، ثم حان وقت الاذاعة فاذا امامى ثلاثة مكروفونات واحد اللغة العربية والثانى للغة الفرنسية والثالث للغة الانجليزية وبالطبع استطعت ان اشبع رغبة الميكروفونين العربى والفرنسى ، اما الميكروفون الانجليزى فاعتذرت لمن انصت اليه بضعفى فى اللغة الانجليزية ! وقال الانجليز المستمعون انه يلذ لهم الاستماع الى تلك اللغة «المكسرة» وانهم يفهمونها على اى حال .

لقد خرجت من المؤتمر موفقة بعون الله كما طماننى هذا المؤتمر على انى بالرغم من لهجتى الانجليزية «المكسرة» سأستطيع ان اواجه الانجليز فى بلادهم .

وكان دليل التوفيق فى هذا المؤتمر ان صداد شغل الناس جميعا وجاوز حدود فرنسا الى انحاء العالم المختلفة ونشرت الصحف ووكالات الانباء فى اليوم التالى كل ما دار فى هذا المؤتمر الذى شمل كل القضايا التى تهم العالم وجاء ذكر مصر اكثر من مرة حتى امتلأت بذلك عزة ورضاء ، فان الدعوة لمصر عن طريق السيدة يرفع من قدرها لان الاجانب يقيسون تقدم أية امة بتقدم نساها .

ولاحظت في هذا المؤتمر أيضا أن التضامن ملحوظ بين النساء دائما وإن اختلفت اللغة والمذهب وتباينت الاجناس اذ حضر المؤتمر نحو ٥٠٠ من أهل الرأي والصحافة وكان أكثر من النصف من النساء وأن معظم هؤلاء النساء انضممن لى فى جميع الآراء التى أبديتها .

ثم كرسى آخر يوم لزيارة باريس ، تلك المدينة التى عشت فيها سنوات وتكونت فيها آرائى وعقائدى ، وتلقيت فيها العلم فى السوربون ، فاصطحبت احدى صديقتى من أيام الدراسة واخذنا نتجول فى أنحاء باريس .

كان أول ما ذهبنا اليه هو « بولفار سان ميشيل » أو الحى اللاتينى كما يسميه الفرنسيون وسموه بالحى اللاتينى لانه حى العلوم والمعارف ، ففيه توجد معظم كليات الجامعة وكانت معظم العلوم تدرس باللغة باللاتينية فى الماضى ومن هذا سمي بهذا الاسم .

وبولفار سان ميشيل يضم طلبة من جميع الجنسيات ، فيمكنك اذا جلست فى احدى « القهاوى » المنتشرة فى هذا الشارع العتيق أن ترى وجوها افريقية وهندية وصينية ومن جزر الفلبين واليابان وكثيرا من الاوروبيين ، وأن تسمع لهجات من جميع أنحاء العالم .

ويمتاز الحى اللاتينى بأنه حى باريسى صميم رغم وجود جميع ألوان الانسان به ، كالابيض والاسود والاصفر .. الخ ، هذا بخلاف ما بين بين ..

هذه هى حياة الطلبة فى باريس على حقيقتها ، ويمزول الاجانب دائما أن يلبسوا الثياب الباريسية والاذواق الباريسية ، فالبنيات يلبسن آخر المودات الباريسية ويصفقن شعورهن كالفرنسيات وذلك بأثمان الحى اللاتينى الزهيدة .

والطلبة يلبسون السترات القصيرة « والبلوفرات » الصوف

التي تعلو الرقبة والبنطلونات الضيقة ، فلا تميزهم عن الفرنسيين سوى وجوههم !

وزرت وصديقتي منزل الطالبات هناك الذي كنت أسكنه وأنا طالبة بالجامعة وتذكرت الايام الحلوة التي قضيتها به ، فكم من ليلة ضحكنا في هذا البيت ، وكم من ليلة سهرنا بين أكداس الكتب والمحاضرات .

وفي طريقنا الى السوربون مررنا على «رستوران» صغير تتكلف الاكلة فيه فرنكين ونصفا ، أى حوالى قرشين ونصف القرش ، وهذا المحل كنا نتناول الطعام فيه ابتداء من يوم ٢٠ الى ٣٠ فى الشهر لافلاسنا .

ثم وصلنا الى السوربون تلك الجامعة العتيقة التي تلقت العلم بين أحضانها والتي خرجت كثيرا من النوابغ فى القانون والطب والفلسفة . . . الخ ، طيلة الاعوام التي عاشتها وهي جزء لا يتجزأ من تاريخ فرنسا وهي السبب الاول فى تسمية باريس « بلد النور » نور العلم الذى يفوق كل نور . . وما أكثر الاجزاء الهامة فى حياة باريس !

وزرنا بعد ذلك حدائق اللوكسمبورج الجميلة والتي كانت تطل عليها نافذتي وأنا طالبة ، وكنت كل صباح ألقى نظرة الى هذه الحديقة التي أحبها والتي طالما شهدت كفاح آلاف وآلاف من الطلبة فى كفاحهم وآلامهم وآمالهم والتي تزخر بالاشياء والمواقف التاريخية .

ثم زرنا البانتيون وفيه يرقد الراحلون من عظماء الفرنسيين ومنهم نابليون ، فتحس بالرهبة لكثرة الاسماء التي ترقد فيه والتي طالما سمعنا عنها وقرأنا تاريخ حياتها والذين كونوا بكفاحهم الحجر الاول فى مجد بلادهم .

ثم وصلنا الى نهر السين وزرنا الشاطئ ومررنا بأكشاك باعة الكتب ، لقد أصبح هؤلاء الباعة جزءا من النهر اذا اختفوا من ضفتيه فسوف يضيع نصف جماله ، انهم يؤلفون باقة من الازهار كلها

أكشاك صغيرة ، هذا يبيع « الكارت بوستال » والصور الزيتية والصور القديمة وآخر يبيع تحفا أثرية ، وبعض السيوف والخناجر التي يقص عليها كثيرا من القصص قبل أن يبيعك اياها حتى تستريها وأنت تؤمن بأنها قطعة من التاريخ ، ورابع يبيع الزهور ، وخامس وسادس تمر عليهم فتتضمن أن تعيش في باريس حتى تراهم كل يوم ، وقد كنت وأنا طالبة أقتصد من « مصروفي » حتى أشتري الكتب من هؤلاء الباعة على ضفة السين .

وأستطيع أن أقول ان جزءا كبيرا من مكتبتى الان مكون من هذه الكتب المشتراة بالفرنكات المقتصدة من ميزانيتى كطالبة .

ومررنا بعد ذلك على نوتردام وقد وقفت الى جوارها عربات شركات السياحة الكبيرة ووقف جمع من السياح من مختلف الجنسيات ومعهم آلات التصوير معلقة في أكتافهم يستمعون الى شرح الباريسية الحسنة وهى تشرح لهم تاريخ الكاتدرائية العتيقة بلهجة انجليزية غريبة وجذابة !

ولم ألتقط صورة لا من نوتردام ولا من غيرها من الآثار لاننى فضلت دائما فى رحلتى أن أطبع كل ما يلفت نظرى أو يؤثر فى ، لا فى فيلم بل فى ذاكرتى .

ثم ذهبنا الى المونمارتر الذى يشرف على باريس ووقفنا الى جوار كنيسة « الساكركير » أو القلب المقدس نتأمل باريس من هذه القمة المرتفعة وبدت معالمها واضحة جلية ، فمن هذه الناحية محطة « الشرق » ومن هذه الناحية النوتردام ثم من هنا برج ايفل والقصر الملكى ثم الكونكورد وقوس النصر . . .

وحى المونمارتر هو حى الفنانين ، ففيه ترى الرسامين وقد وضع كل منهم لوحته وأخذ يرسم حوارى هذا الحى الضيقة وشوارعه المنحدرة والملاهى العتيقة والسلالم التى تصل بين نواحي الحى ونواح أخرى والطريف انك لا تستطيع أن تفرق بين الفنانين الفرنسيين وزملائهم الامريكيين الذين جاءوا الى باريس ليتعلموا

الرسم . فقد أطلق الأمريكيون لديهم ولبسوا « البيرية » الفرنسية ولبس الفرنسيون « البلوجينز » الأمريكي والقمصان المزركشة فأصبحت لا تعرف هذا من ذلك .

وصعدنا بعد ذلك الى برج ايفل لنرى باريس قطعة قطعة وبيتنا بيتا . وقد قطعها نهر السين بنصف دائرة فظهر كأنه شريان يجرى وسط هذه المدينة الجميلة فلا حياة له بدونها ولا حياة لها بدونه ! وهذا قصر شايو الذى عقدت فيه أكثر من جلسة تاريخية لهيئة الأمم المتحدة . .

وكانت حدائق التويلرى هى آخر المطاف فى رحلتنا هذه ومنها خرجنا الى شارع ريفولى الشهير وبه محلات اللوازم النسائية على اختلاف أنواعها ويتفنن أصحابها فى عرض آخر الموديلات من حقائب وحلى وعطور وجوارب . . الخ

وتحت اغراء هذا الشارع طار نصف باقى المبلغ المخصص للعالم كله . فخرجت منه بسرعة قبل أن يطير النصف الآخر ! . . ثم دخلنا متحف « اللوفر » وزرت القاعة المخصصة للمتحف المصرية . .

وفى نهاية الشارع خرجت الى ميدان الكونكورد حيث تقف المسلة المصرية شامخة ، ووقفت الى جوارها فى فخر وودت أن أقول لكل من يمر بجانبها ويتأملها فى جمالها وبساطتها : « اننى مصرية وأجدادى هم الذين سجلوا تاريخهم على هذه المسلة التى تقفون أمامها اليوم بعد أربعة آلاف سنة من صنعها دهشة واعجابا » .

وأردت أن تكون آخر حاجة أزورها هى جامع باريس لأن كل الشرقيين يشعرون فيه بأنهم فى وطنهم وفى مكان من أماكنهم المقدسة .

ثم عدت الى الفندق ، فمررت على قوس النصر ، لقد أصبح هذا القوس لا يرمز الى تاريخ بنائه فقط ، بل أصبح يرمز الى باريس نفسها ، ويرمز الى الحضارة الفرنسية كلها ، التى يستمد منها كثير من الشعوب ثقافتهم وتعتبرها الشعوب الاخرى منهلا من مناهل العلم والادب والفن . .